نحو إطارٍ منهجيٍّ للإفادة من المناهج اللسانية الغربية في الدراسات القرآنية: البلاغة السامية أنموذجًا

محمد يوسف ستياوان
قسم تعليم اللغة العربية، كلية التربية وتكوين المدرسين، جامعة والي سونجو الإسلامية الحكومية، إندونيسيا
Corresponding author: mohammad.yusuf.setyawan@walisongo.ac.id

الملخص

تتناول هذه الدراسة إشكالية الإفادة من المناهج اللسانية الغربية في الدراسات القرآنية في ظل التباين بين اتجاه يرفض هذه المناهج لمجرد نشأتها في سياق معرفي غربي، واتجاه يتبناها دون فحص كافٍ لأسسها النظرية ومدى ملاءمتها لطبيعة النص القرآني. وتهدف الدراسة إلى اقتراح إطار منهجي يتيح الإفادة من الأدوات اللسانية الحديثة مع تجنب التبعية المعرفية والقطيعة مع التراث العلمي الإسلامي. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والنقدي، من خلال تحليل الأسس المنهجية للإفادة من المناهج اللسانية الغربية، واختبارها في ضوء البلاغة السامية كما وظفها ميشيل كويبرس في دراسة بنية القرآن الكريم، مع الاستفادة من مفاهيم التراث البلاغي العربي ذات الصلة. وتوصلت الدراسة إلى خمسة ضوابط رئيسة للإفادة المنهجية، هي: مراعاة خصوصية النص القرآني، والفصل بين الأداة التحليلية والخلفية الفلسفية للمنهج، والتكامل مع التراث البلاغي والتفسيري الإسلامي، وإمكان التحقق العلمي من النتائج، والقدرة على إنتاج معرفة جديدة تتجاوز مجرد نقل النموذج الغربي. وتخلص الدراسة إلى أن الإفادة من المناهج اللسانية الغربية لا تستلزم قبول خلفياتها الفلسفية كاملة، كما أن نقدها لا يقتضي رفض أدواتها التحليلية، وإنما يمكن توظيفها ضمن رؤية نقدية تكاملية تعيد تأصيلها في سياق معرفي إسلامي.

الكلمات المفتاحية : *المناهج اللسانية الغربية؛ الدراسات القرآنية؛ البلاغة السامية؛ التبعية المعرفية؛ التأصيل المنهجي.*

المقدمة

شهدت الدراسات القرآنية في العصر الحديث توسعًا ملحوظًا في توظيف المناهج اللسانية والأدبية والنقدية المعاصرة في قراءة النص القرآني، ولا سيما المناهج التي نشأت في سياقات معرفية غربية ثم انتقلت إلى مجال الدراسات الإسلامية. وقد أسهم هذا الاتجاه في توسيع أدوات تحليل النص، من دراسة المستويات المعجمية والنحوية والبلاغية إلى البحث في العلاقات النصية والتماسك والبنية. ومن الأمثلة على ذلك دراسة العوَّا التي وظفت نظريات لسانية في تحليل العلاقات النصية في القرآن، وربطت بين الملاءمة والتماسك والبنية (El-Awa, 2006). كما اهتمت دراسات أخرى بالخصائص البنيوية والأدبية للنص القرآن (Neuwirth, 2006). غير أن انتقال هذه المناهج لا يمثل عملية معرفية محايدة، إذ قد ترتبط ببعض الافتراضات النظرية التي تشكلت في سياقات مغايرة للسياق الذي تطورت فيه علوم القرآن والتفسير والبلاغة العربية. ومن هنا تبرز الحاجة إلى تقويم حدود الإفادة منها وإمكان الفصل بين أدواتها التحليلية وخلفياتها المعرفية.

ولم تكن مسألة البحث عن العلاقات الداخلية في النص القرآني جديدة على التراث الإسلامي؛ فقد تناول علماء القرآن والبلاغة قضايا النظم والمناسبة والعلاقات بين الآيات والسور. وقد مثّل مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني تصورًا بارزًا لارتباط المعنى بطريقة انتظام العناصر اللغوية والعلاقات القائمة بينها (الجرجاني، 1992)، بينما تطور البحث في المناسبات والنظم في أعمال علماء علوم القرآن، ومنهم الزركشي والسيوطي (الزركشي، 1957; السيوطي، 2008). ولذلك فإن المناهج الحديثة التي تدرس بنية النص وتماسكه لا تنشئ هذا السؤال من الصفر، وإنما تعيد صياغته ضمن أطر نظرية وإجرائية جديدة.

وفي هذا السياق برزت البلاغة السامية بوصفها نموذجًا بارزًا لتوظيف منهج حديث في دراسة بنية القرآن الكريم. فقد طور ميشيل كويبرس منهجًا لتحليل النص القرآني بالاستفادة من تقاليد البلاغة السامية، وطبقه على عدد من السور والمقاطع للكشف عن أنماط التنظيم النصي والعلاقات بين الوحدات المكونة للنص (Cuypers, 2011). وقد أسهم هذا الاتجاه في إعادة طرح مسألة النظم القرآني في الدراسات المعاصرة، وأصبح موضوعًا لدراسات تناولت

منهجه ومكانته في الدراسات القرآنية الحديثة (Mokrani, 2019). ومن ثم تمثل البلاغة السامية حالة مناسبة لفحص إمكان الإفادة من منهج حديث نشأ خارج السياق الإسلامي في تحليل النص القرآني.

وقد تراوحت المواقف من هذا الاتجاه بين الإفادة منه وتقويمه نقديًا. فقد ناقش أسنوي وإدري تطبيق البلاغة السامية من منظور علوم القرآن، وأثارا مسائل تتعلق بتحديد البنية ودرجة الموضوعية في بعض التطبيقات (Aqdi Rofiq Asnawi & Idri, 2020)، بينما تناولت دراسة أخرى تطبيق كويبرس على سورة المائدة من خلال تحليل تماسكها النصي (Asnawi et al., 2022).كما أثارت مراجعة سيناي أسئلة حول الأسس النظرية والإجراءات التي تقوم عليها بعض قراءات كويبرس وفارّين (Sinai, 2017). وفي اتجاه أكثر ارتباطًا بمشكلتنا، تناولت دراسة أسنوي وأنغارا والمدني مسألة أسلمة المنهج الغربي من خلال البلاغة السامية ، كما ناقشت دراسة حديثة الإشكالات الإبستمولوجية المرتبطة بتوظيف هذا المنهج في التفسير القرآني (Ulumudin et al., 2022).

تكشف هذه الدراسات عن فجوة تتجاوز الحكم على صلاحية البلاغة السامية في تحليل بنية السور. فقد ركزت بعض الدراسات على تطبيق المنهج، واهتمت أخرى بنقد نتائجه أو تكييفه مع المنظور الإسلامي، بينما لا يزال السؤال عن المعايير العامة التي يمكن من خلالها تقويم الإفادة من المناهج اللسانية الغربية بحاجة إلى صياغة منهجية أكثر تحديدًا. وتتمثل المشكلة، إذن، في كيفية التمييز بين الأدوات التحليلية التي يمكن إعادة توظيفها وبين الافتراضات النظرية أو المعرفية التي تحتاج إلى مراجعة أو استبعاد عند تطبيقها على القرآن.

وانطلاقًا من هذه الفجوة، تقترح هذه الدراسة إطارًا منهجيًا للإفادة من المناهج اللسانية الغربية في الدراسات القرآنية، مع اتخاذ البلاغة السامية أنموذجًا لاختبار هذا الإطار. ولا تهدف الدراسة إلى إعادة بناء أنماط البلاغة السامية في نص قرآني معين، وإنما إلى فحص عملية الانتقال المنهجي نفسها، من خلال التمييز بين الأداة التحليلية وخلفيتها المعرفية، وربطها بالتراث البلاغي والتفسيري، والتحقق من نتائجها، والنظر في مقدار الإضافة التي تحققها. وعليه، تسعى الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الرئيس :ما الإطار المنهجي الذي يمكن اعتماده للإفادة من المناهج اللسانية الغربية في الدراسات القرآنية مع الحفاظ على خصوصية النص القرآني واستقلالية السياق المعرفي الإسلامي؟ ويتفرع عنه سؤال آخر :إلى أي مدى يمكن أن تمثل البلاغة السامية أنموذجًا صالحًا لاختبار هذا الإطار؟ وتنطلق الدراسة من أن الإفادة من المنهج الغربي لا تستلزم تبني خلفياته كاملة، كما أن نقد تلك الخلفيات لا يقتضي رفض أدواته التحليلية، بل يمكن إعادة توظيف ما يثبت نفعه ضمن رؤية نقدية تكاملية.

مراجعة الأدبيات

شهدت الدراسات القرآنية المعاصرة توسعًا ملحوظًا في توظيف المناهج الحديثة، ولا سيما المناهج التاريخية والأدبية واللسانية وتحليل الخطاب، في دراسة بنية النص القرآني وسياقه وعلاقاته الداخلية والدلالية (Neuwirth, 2007; Reynolds, 2010). وقد أسهم هذا الاتجاه في توسيع مجال الأسئلة المطروحة على النص، بما في ذلك أسئلة التماسك والتنظيم النصي والعلاقات بين الوحدات وآليات إنتاج المعنى. ومن الأمثلة على ذلك توظيف سلوى العوّا نظريات لسانية وتداولية في دراسة العلاقات النصية في القرآن، مع التركيز على الملاءمة والتماسك والبنية-(El

(Awa, 2006. غير أن هذا الانفتاح المنهجي أثار في المقابل إشكالية انتقال المناهج من سياقات معرفية وثقافية نشأت فيها إلى سياق الدراسات القرآنية، وما يقتضيه ذلك من فحص مدى ملاءمة افتراضاتها وإجراءاتها لطبيعة النص المدروس. ومن ثم، لم يعد السؤال المنهجي هو إمكان استخدام المناهج الحديثة فحسب، وإنما كيفية الإفادة منها بصورة نقدية ومشروعة.

ويتطلب هذا السؤال تحديد مفهوم الإفادة المنهجية .فالإفادة من منهج حديث لا تستلزم بالضرورة تبني المنظومة المعرفية التي نشأ فيها بأكملها؛ إذ يمكن التمييز بين الأدوات والإجراءات التحليلية من جهة، والافتراضات النظرية والفلسفية التي تؤطر استخدامها من جهة أخرى. وتتيح المناهج اللسانية وتحليل الخطاب، على سبيل المثال، دراسة العلاقات بين الوحدات النصية وأنماط التماسك والتنظيم والسياق، غير أن قابلية هذه الأدوات للإفادة في الدراسات القرآنية لا تتحدد بمجرد نجاحها في سياقاتها الأصلية، وإنما تتطلب فحص طبيعة الأداة والافتراضات التي تقوم عليها ومدى إمكان فصل الإجراء التحليلي عن التصورات التي قد لا تتلاءم مع موضوع الدراسة (El-Awa, 2006). وبذلك تتحول الإفادة المنهجية من عملية نقل مباشر إلى عملية تقوم على التقويم والانتقاء وإعادة التوظيف.

وتتأكد أهمية هذا التمييز عند التعامل مع النص القرآني؛ إذ لا يمكن تقويم المنهج بمعزل عن خصائص النص الذي يطبق عليه. وقد طور التراث الإسلامي أدوات ومفاهيم متعددة لدراسة العلاقات بين عناصر الخطاب، من أبرزها النظم والمناسبة والسياق. ويُعد تصور عبد القاهر الجرجاني للنظم من أهم التصورات البلاغية التي ربطت المعنى بالعلاقات القائمة بين العناصر اللغوية في التركيب (الجرجاني، 1992)، كما اهتم علماء علوم القرآن بمبحث المناسبة بين الآيات والسور بوصفه مجالًا للكشف عن وجوه الترابط والتناسب في الخطاب القرآني (الزركشي، 1957; السيوطي، 2008). وتكشف هذه المفاهيم عن أن دراسة تنظيم الخطاب وعلاقاته الداخلية ليست غريبة عن التراث الإسلامي، وإن اختلفت المصطلحات والأطر النظرية والإجراءات عن تلك التي طورتها المناهج الحديثة.

ولا يعني حضور هذه القضايا في التراث أن المناهج الحديثة زائدة عن الحاجة، كما لا يعني استخدام المناهج الحديثة تجاوز التراث البلاغي والتفسيري. وإنما تبرز إمكانية إقامة حوار منهجي بين الطرفين؛ بحيث تُختبر الأدوات الحديثة في ضوء الأسئلة والمفاهيم التي طورها التراث، وفي الوقت نفسه يُنظر في الإضافات التي يمكن أن تقدمها هذه الأدوات إلى دراسة النص القرآني. ومن ثم، فإن العلاقة بين المنهج الحديث والتراث لا ينبغي أن تقوم على الاستبدال، بل على المقارنة والتقويم وتحديد الوظيفة التحليلية لكل أداة. وتكتسب هذه المسألة أهمية خاصة عندما يكون موضوع المنهج هو بنية النص وعلاقاته الداخلية، إذ تتقاطع هذه القضايا، وإن لم تتطابق، مع مباحث النظم والمناسبة في البلاغة وعلوم القرآن.

وفي هذا السياق، تمثل البلاغة السامية نموذجًا ملائمًا لاختبار إشكالية الإفادة المنهجية. فقد طور ميشيل كويبرس تطبيقات تستفيد من تقاليد البلاغة السامية في تحليل النص القرآني، مع التركيز على العلاقات البنيوية بين وحداته وعلى أنماط تنظيم تتجاوز القراءة الخطية للنص (Cuypers, 2011). وقد قدم كويبرس لاحقًا عرضًا أكثر شمولًا لتاريخ البلاغة السامية ونظريتها ومبادئها التحليلية، مؤكدًا إمكان الكشف من خلالها عن أنماط التوازي والتركيب المتناظر والعلاقات بين المقاطع النصية (كويبرس، 2016). كما تناولت دراسات لاحقة مشروع كويبرس

وموقع البلاغة السامية في الدراسات القرآنية الحديثة (Mokrani, 2019). ومن ثم، توفر البلاغة السامية حالة مناسبة لفحص انتقال منهج نشأ خارج سياق الدراسات الإسلامية إلى مجال دراسة القرآن.

وقد اختلفت الدراسات في تقويم القيمة العلمية لهذا الاتجاه. فمن جهة، ينظر بعض الباحثين إلى البلاغة السامية بوصفها أداة مفيدة للكشف عن العلاقات النصية والبنية الداخلية للسور، ومن جهة أخرى أثارت دراسات نقدية أسئلة حول موضوعية بعض التطبيقات وإمكان تأثر تحديد البنية النصية بالقراءة المسبقة أو بالبحث عن أنماط محددة في النص (Asnawi and Idri 2020; Asnawi et al., 2022). كما أثارت مراجعة سيناي أسئلة حول بعض الأسس النظرية والإجراءات التي تقوم عليها قراءات كويبرس، ولا سيما ما يتعلق بإثبات البنى المتناظرة وكفاية الأدلة المستخدمة لتحديدها (Sinai, 2017). وتكشف هذه المناقشات أن قيمة البلاغة السامية لا تتعلق بمجرد قدرتها على اقتراح بنى نصية، وإنما تتصل كذلك بالإجراءات التي يتم من خلالها تحديد هذه البنى وإثباتها، وبمدى قابليتها للمناقشة والتحقق.

وتجاوز النقاش في بعض الدراسات الحديثة مسألة التطبيق إلى سؤال تكييف المنهج الغربي مع السياق الإسلامي .فقد تناول أسنوي وأنغارا والمدني مسألة أسلمة المنهج الغربي من خلال البلاغة السامية، مؤكدين الحاجة إلى دمج بعض عناصر علوم القرآن في عملية التوظيف المنهجي (Setyawan, 2022, 2025). في اتجاه أكثر نقدًا، ناقشت دراسة حديثة الإشكالات الإبستمولوجية المرتبطة بالبلاغة السامية، ودعت إلى مراجعة بعض افتراضاتها عند توظيفها في التفسير القرآني (Ulumudin et al., 2022). وتكشف هذه الدراسات عن تطور مهم في مسار البحث: من تطبيق المنهج، إلى نقد نتائجه، ثم إلى تقويم شروط تكييفه وإطاره المعرفي.

وقد سبق للباحث أن تناول توظيف البلاغة السامية في دراسة القرآن من زاوية دورها في الكشف عن تماسك النص وإمكان توظيفها في تعزيز الحوار والتسامح الديني (Setyawan, 2022)، ثم وسّع مجال البحث إلى دراسة التناص بين القرآن والكتاب المقدس، مع التركيز على سورة المائدة نموذجًا (Setyawan, 2025). غير أن تلك الدراسات انشغلت أساسًا بإمكانات التطبيق ونتائجه، بينما تنتقل الدراسة الحالية إلى مستوى منهجي أسبق، يتمثل في البحث عن المعايير التي تضبط عملية الإفادة من المنهج نفسه وتقوّم شروط نقله وإعادة توظيفه في الدراسات القرآنية.

وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات، فإن معظم النقاشات السابقة تركز، بدرجات متفاوتة، على إمكان تطبيق المناهج الحديثة أو نتائج تطبيقاتها أو مدى توافقها مع التراث الإسلامي، بينما تظل الحاجة قائمة إلى معالجة أكثر تحديدًا لعملية الإفادة المنهجية ذاتها :ما الذي يمكن نقله من المنهج؟ وما الذي ينبغي تقويمه أو إعادة تأصيله؟ وما المعايير التي يمكن من خلالها الحكم على مشروعية هذا النقل؟ وتتمثل الفجوة التي تنطلق منها الدراسة الحالية في الانتقال من تقويم نتائج المنهج إلى تقويم شروط الإفادة منه .ولذلك لا تهدف الدراسة إلى إعادة تطبيق البلاغة السامية لإثبات وجود أنماط بنيوية في النص القرآني فحسب، وإنما إلى فحصها بوصفها حالة نموذجية يمكن من خلالها بناء تصور منهجي للإفادة النقدية من المناهج اللسانية الغربية في الدراسات القرآنية.

وانطلاقًا من هذه الفجوة، تقترح الدراسة إطارًا تحليليًا يقوم على خمسة معايير مترابطة لتقويم الإفادة المنهجية: أولًا، مراعاة خصوصية النص القرآني، وذلك بفحص مدى قدرة الإجراء التحليلي على التعامل مع خصائص النص دون اختزاله في نموذج لا يستوعب طبيعته اللغوية والتفسيرية؛ ثانيًا، الفصل بين الأداة والخلفية المعرفية، من خلال

التمييز بين الإجراء التحليلي القابل للإفادة والافتراضات الفلسفية أو المعرفية المصاحبة له؛ ثالثًا، الحوار مع التراث البلاغي والتفسيري، من خلال اختبار الإجراءات والنتائج الحديثة في ضوء مفاهيم النظم والمناسبة والسياق؛ رابعًا، القابلية للتحقق والمناقشة العلمية، بحيث تستند النتائج إلى إجراءات واضحة يمكن تتبعها ومناقشتها واختبارها؛ وخامسًا، الإضافة المعرفية، بحيث تتجاوز الإفادة مجرد نقل نموذج تحليلي غربي وتنتج فهمًا أو تفسيرًا يضيف إلى دراسة النص القرآني.

وبذلك تتبنى الدراسة تصورًا للإفادة المنهجية بوصفها عملية تقويم وانتقاء وإعادة تأصيل وتوظيف، لا عملية نقل مباشر للمنهج من سياقه الأصلي إلى الدراسات القرآنية. وسيُختبر هذا التصور من خلال نموذج البلاغة السامية، بالنظر في إجراءاتها التحليلية وعلاقتها بخصوصية النص القرآني، وحوارها الممكن مع التراث البلاغي، وقابلية نتائجها للتحقق، وما يمكن أن تضيفه إلى دراسة البنية النصية للقرآن. ومن ثم، يوفر هذا الإطار أساسًا مفاهيميًا مباشرًا لأهداف الدراسة، وينقل النقاش من ثنائية قبول المناهج الغربية أو رفضها إلى مقاربة تقوم على الإفادة النقدية المنهجية.

منهج البحث

تعتمد هذه الدراسة منهجًا نوعيًا نصيًا ذا مقاربة تحليلية نقدية لبناء إطار منهجي للإفادة من المناهج اللسانية الغربية في الدراسات القرآنية، واتخاذ البلاغة السامية أنموذجًا لاختبار هذا الإطار. ويأتي اختيار هذا المنهج من طبيعة سؤال البحث الذي لا يستهدف قياس المتغيرات أو اختبار العلاقات إحصائيًا، وإنما يسعى إلى فحص منهج تحليلي في سياقه، وتحليل إجراءاته وافتراضاته، ثم تقويم إمكان الإفادة منه في الدراسات القرآنية (Creswell and Poth, 2024).

وتندرج الدراسة ضمن تحليل الوثائق والنصوص (document and textual analysis)، إذ تعتمد المصادر المكتوبة بوصفها corpus البحث. ويتكون corpus من ثلاثة مستويات: أولها، المصادر الأصلية للبلاغة السامية، ولا سيما أعمال ميشيل كويبرس (كويبرس، 2011, 2016, 2018)؛ وثانيها، الدراسات التحليلية والنقدية لتطبيقاتها؛ وثالثها، المصادر البلاغية وعلوم القرآن ذات الصلة بمفاهيم النظم والمناسبة والسياق، ولا سيما أعمال الجرجاني والزركشي والسيوطي. وتُختار هذه المصادر عمديًا وفق صلتها المباشرة بسؤال البحث وغناها المعلوماتي (Patton, 2015).

وتُجمع البيانات من خلال القراءة النصية التحليلية وتحليل الوثائق، مع التركيز على أربعة عناصر: الأسس النظرية، والإجراءات التحليلية، والنتائج، والافتراضات التي تربط الإجراءات بالنتائج. ثم تُحلل المادة في أربع مراحل: إعادة بناء منهج البلاغة السامية من مصادره الأصلية؛ وتحليل إجراءاته وافتراضاته نقديًا؛ ومقارنة وظائفه التحليلية بالمفاهيم ذات الصلة في التراث البلاغي وعلوم القرآن؛ ثم تركيب النتائج وبناء الإطار المنهجي المقترح.

ويقوم الإطار الناتج على خمسة أبعاد مترابطة :مراعاة خصوصية النص القرآني، والفصل بين الأداة التحليلية والخلفية المعرفية، والحوار مع التراث البلاغي والتفسيري، والقابلية للتحقق والمناقشة العلمية، والإضافة المعرفية . ولا تُعامل هذه الأبعاد بوصفها قواعد مفروضة مسبقًا، وإنما بوصفها خلاصة تركيبية للتحليل والمقارنة.

ولتعزيز مصداقية النتائج وقابليتها للتتبع، تعتمد الدراسة التثليث المصدري والنظري من خلال مقابلة المصادر الأصلية للمنهج بالدراسات النقدية والمصادر البلاغية وعلوم القرآن. وينسجم ذلك مع معايير trustworthiness في البحث النوعي، ولا سيما المصداقية والاعتمادية وقابلية التحقق (Lincoln and Guba, 1985, 1986). ولا تتضمن الدراسة مشاركين بشريين، إذ تقتصر على تحليل المصادر المنشورة.

النتائج والمناقشة

تكشف مراجعة الدراسات السابقة وتحليل تطبيقات البلاغة السامية أن النقاش حول الإفادة من المناهج الحديثة في الدراسات القرآنية قد تجاوز مسألة إمكان استخدام أدوات جديدة في قراءة النص إلى مسائل أعمق تتعلق بحدود المنهج، ودرجة قابليته للنقل، وطريقة التحقق من نتائجه. وتمثل البلاغة السامية نموذجًا مناسبًا لهذه الإشكالية؛ فهي من جهة قدمت أدوات للكشف عن التنظيم الداخلي للنص القرآني، ومن جهة أخرى أثارت تطبيقاتها عددًا من التساؤلات المنهجية والنقدية. ومن خلال تحليل هذه الاتجاهات، يمكن الانتقال من تقويم البلاغة السامية في ذاتها إلى استخلاص مبادئ أعم للإفادة من المناهج اللسانية الغربية في الدراسات القرآنية.

١. البلاغة السامية وإمكان الكشف عن البنية القرآنية

تمثل البلاغة السامية أحد أبرز الاتجاهات الحديثة التي حاولت تقديم تفسير منهجي لتنظيم النص القرآني على مستوى يتجاوز القراءة الخطية للآيات. وينطلق ميشيل كويبرس من أن النص القرآني يمكن تحليله وفق أنماط من التنظيم تقوم على العلاقات بين الوحدات النصية، مثل التوازي والتناظر والتركيب الحلقي والبنية المركزية. وقد طور هذه الرؤية في دراسته للبلاغة السامية وفي كتابه *The Composition of the Qur'an*، حيث عرض مستويات متعددة للتركيب، من الوحدات الصغيرة إلى المقاطع والسور، وربط بين البنية الرتورية وإمكانات التفسير(كويبرس، 2016، 2018).

وتكمن أهمية هذا الاتجاه في أنه أعاد طرح سؤال النظم القرآني من زاوية تحليلية مختلفة. فبدل الاقتصار على العلاقات النحوية أو الدلالية المباشرة بين الآيات، يبحث التحليل الرتوري عن علاقات أوسع بين المقاطع، وقد يؤدي ذلك إلى الكشف عن أنماط من التناظر أو التوازي لا تظهر بالضرورة في القراءة الخطية. ومن هذا المنظور، لا تكون البنية مجرد شكل خارجي، بل يمكن أن تؤدي وظيفة تفسيرية؛ إذ يساعد تحديد العلاقة بين المقاطع في فهم كيفية بناء المعنى داخل السورة (Cuypers, 2011).

وقد وسع ريموند فارّين هذا الاتجاه من خلال دراسة التناظر والتماسك في القرآن، مؤكدًا أن البنية المتناظرة يمكن أن تعمل على مستويات متعددة، وأن الكشف عنها قد يسهم في تفسير النص وليس في وصف شكله فحسب (Farrin, 2014).وتنسجم هذه الرؤية، من جانب أوسع، مع اهتمام أنجيليكا نويفرت بالخصائص البنيوية واللغوية والأدبية للقرآن، حيث ترى أن دراسة النص القرآني تحتاج إلى الانتباه إلى بنيته الخطابية والأدبية الخاصة، بدل إخضاعه بصورة مباشرة لنماذج سردية أو أدبية جاهزة (Neuwirth, 2017).

غير أن القيمة التحليلية للبلاغة السامية لا تعني أن كل بنية تقترحها قابلة للقبول بالدرجة نفسها. فمجرد إمكان تقسيم السورة إلى وحدات متناظرة لا يكفي لإثبات أن هذا التنظيم هو بالضرورة التنظيم المقصود للنص. وهنا تبرز

أهمية الدراسات النقدية التي اختبرت الأسس التي تقوم عليها بعض التطبيقات. فقد أشار سيناي إلى مشكلات تتعلق ببعض التقسيمات والعلاقات التي يعتمد عليها كوبيرس وفارّين في إثبات البنية الحلقية أو المتناظرة، وحذر من أن النموذج البنيوي قد يؤثر في طريقة قراءة النص إذا لم تسبق عملية تحديد البنيةَ دراسةٌ مستقلة للمؤشرات النصية (Sinai, 2017).

كما خلص أسناوي وإدري، في دراستهما النقدية للبلاغة السامية من منظور علوم القرآن، إلى أن المنهج يمكن أن يقدم إمكانات مفيدة في الكشف عن العلاقات الداخلية للنص، إلا أن بعض تطبيقاته تثير أسئلة تتعلق بتقسيم النص ودرجة الموضوعية والاتساق في تحديد العلاقات البنيوية (Asnawi & Idri, 2020).وفي دراسة أخرى حول سورة المائدة، ناقش أسناوي وعزيز وحارث تطبيق كوبيرس، وأظهروا أن تحليل التماسك يمكن أن يقدم قراءة مفيدة للنص، مع ضرورة التمييز بين إثبات وجود العلاقات بين المقاطع وبين إثبات أن هذه العلاقات هي الأساس الذي يقوم عليه تماسك السورة (Asnawi et al., 2022).

وتشير هذه المقارنة إلى أن الإسهام الرئيس للبلاغة السامية لا ينبغي أن يُقاس فقط بعدد البنى التي تمكنت من اكتشافها، وإنما بقدرتها على تقديم إجراءات قابلة للفحص والتفسير .ومن هنا يظهر أول مبدأ في الإفادة المنهجية: ينبغي أن تبدأ عملية نقل المنهج من خصوصية النص المدروس، لا من النموذج النظري الذي يراد تطبيقه عليه. فالنموذج لا ينبغي أن يحدد مسبقًا ما يجب أن يجده الباحث، وإنما ينبغي أن تساعد المؤشرات النصية في تحديد مدى صلاحية النموذج.

وبذلك تكشف البلاغة السامية أن استخدام المنهج الحديث يمكن أن يوسع إمكانات قراءة النص القرآني، لكنه في الوقت نفسه يفرض ضرورة التمييز بين اكتشاف البنية وإثبات البنية .وهذا التمييز سيكون أساسًا مهمًا في بناء الإطار المنهجي المقترح.

٢. نقد البلاغة السامية وحدود الإفادة منها

تكشف الدراسات النقدية للبلاغة السامية أن المشكلة المنهجية لا تتعلق فقط بمدى توافق نتائجها مع النص القرآني، وإنما تتعلق أيضًا بالعلاقة بين الأداة التحليلية والخلفية النظرية التي نشأت فيها الأداة .وهذا التفريق ضروري لأن المنهج لا يتكون من إجراءات منفصلة عن افتراضاته؛ بل ترتبط الأدوات عادة بتصورات معينة عن اللغة والخطاب وطبيعة النص.

يقدم كوبيرس البلاغة السامية في إطار أوسع يميز بين أنماط التنظيم الرتوري السامي وبين التصورات الخطية التي ارتبطت، في عرضه، بالبلاغة اليونانية. ويجعل التوازي والتناظر والتركيب الحلقي من أبرز الأشكال التي يمكن بواسطتها الكشف عن تنظيم النص (Cuyper, 2016, 2018). غير أن هذا التصور يثير سؤالًا يتجاوز الجانب التطبيقي :هل يمكن فصل الإجراءات التحليلية عن جميع الافتراضات النظرية والثقافية التي صاحبت نشأتها؟

يتخذ نقد سيناي أهمية خاصة في هذا السياق؛ إذ لا يقتصر على الاعتراض على بعض النتائج، وإنما يناقش كذلك بعض الافتراضات التي يقوم عليها نموذج البلاغة السامية. ويشير إلى أن إثبات وجود بنية متناظرة يتطلب أدلة مستقلة عن مجرد ملاءمة النص للنموذج المقترح، وأن بعض التطبيقات قد تتأثر بالتصور النظري الذي يبدأ منه

الباحث (Sinai, 2017). تكشف هذه الملاحظة عن مشكلة عامة في نقل المناهج: قد تكون الأداة التحليلية قابلة للإفادة، بينما تكون بعض مقدماتها النظرية بحاجة إلى مراجعة.

ومن ثم، فإن الموقف المنهجي المناسب لا يتمثل في قبول البلاغة السامية أو رفضها كوحدة واحدة. بل ينبغي تفكيكها إلى مستويات مختلفة :مفاهيم، وإجراءات، وافتراضات، ونتائج .ثم يُسأل عن كل مستوى على حدة: هل يتلاءم مع طبيعة النص القرآني؟ وهل يمكن التحقق من الإجراء؟ وهل يقدم إضافة تتجاوز ما هو متاح في الدراسات السابقة؟

وتتضح أهمية هذا التفكيك أيضًا عند مقارنة البلاغة السامية بالتراث البلاغي الإسلامي. فقد عالج عبد القاهر الجرجاني مفهوم النظم من خلال العلاقات بين عناصر الكلام، وربط المعنى بطريقة انتظام هذه العناصر داخل التركيب (الجرجاني، 1992). كما ناقش علماء علوم القرآن مفهوم المناسبة بين الآيات والسور بوصفه وسيلة للكشف عن وجوه الارتباط بينها (الزركشي، 1957; السيوطي، 2008). وهذا يعني أن السؤال عن تنظيم النص القرآني ليس ابتكارًا حديثًا، وإن كانت البلاغة السامية تقدم له أدوات ومفاهيم في إطار معرفي مختلف.

غير أن وجود تقاطع بين النظم والمناسبة من جهة والبلاغة السامية من جهة أخرى لا يعني التطابق بينها. ولذلك فإن الحوار مع التراث لا ينبغي أن يتحول إلى محاولة لإثبات أن البلاغة السامية "موجودة أصلًا" في التراث الإسلامي، كما لا ينبغي أن يتحول إلى رفضها لمجرد أنها نشأت في سياق غربي. وإنما تتمثل وظيفته في اختبار الإضافة التي يقدمها المنهج الحديث.

وتظهر هنا مشكلة أخرى تتعلق بالقابلية للتحقق. فالتحليل النصي البنيوي يتضمن قرارات تفسيرية متعددة: تحديد حدود الوحدة النصية، واختيار العناصر المتناظرة، وتحديد نوع العلاقة بينها، ثم تفسير وظيفة هذه العلاقة. ولذلك فإن النتيجة لا تصبح أكثر علمية لمجرد عرضها في صورة مخطط بنيوي. بل يجب أن يكون مسار الوصول إليها واضحًا بحيث يمكن للباحثين الآخرين فحص الأدلة ومناقشة البدائل.

وهذا ما يجعل نقد سيناي ودراسات أسناوي ذات أهمية بالنسبة إلى الدراسة الحالية؛ فهي تنقل النقاش من "هل توجد بنية؟ "إلى "كيف أُثبتت البنية؟" (Sinai, 2017; Asnawi & Idri, 2020) وبناء على ذلك، فإن الإفادة من المنهج لا ينبغي أن تقاس فقط بقدرته على إنتاج قراءة جديدة، بل بقدرته على تقديم مسار استدلالي قابل للتتبع والمناقشة.

وعليه، يمكن تحديد ثلاث حدود رئيسة للإفادة من البلاغة السامية: أولها حدود النقل النظري، إذ لا يلزم نقل جميع افتراضات المنهج مع أدواته؛ وثانيها حدود التطبيق، إذ ينبغي ألا يفرض النموذج على النص؛ وثالثها حدود النتيجة، إذ لا تكفي الجدة الشكلية لإثبات الإضافة العلمية.

٣. نحو إطار منهجي للإفادة من المناهج اللسانية الغربية

تكشف المقارنة بين الاتجاهات السابقة أن الدراسات حول البلاغة السامية قدمت إسهامات مهمة في فهم البنية القرآنية، لكنها انقسمت بدرجة كبيرة بين الدراسة التطبيقية للمنهج ونقد بعض تطبيقاته ونتائجه .فقد ركز كويبرس على بناء نموذج للبلاغة السامية وتطبيقه على النص القرآني (Cuyper, 2016)، ووسع فارّين البحث في التناظر والتماسك (Farrin, 2014)، بينما قدم سيناي نقدًا لعدد من الأسس والإجراءات التي تقوم عليها بعض هذه التطبيقات (Sinai, 2017).كما تناولت دراسات أسناوي وإدري وأسناوي وعزيز وحارث إمكانات المنهج ومشكلاته من خلال اختباره في سياقات قرآنية محددة2022 ,.Asnawi) (& Idri, 2017; Asnawi et al

ومع ذلك، فإن هذه الأدبيات لا تقدم في مجموعها إطارًا عامًا يجيب عن السؤال :كيف ينبغي الإفادة من منهج لساني غربي عند نقله إلى الدراسات القرآنية؟ فالدراسة التطبيقية تسأل غالبًا عن البنية التي يكشف عنها المنهج، والدراسة النقدية تسأل عن صحة بعض تطبيقاته، أما الدراسة الحالية فتجعل عملية الإفادة نفسها موضوعًا للتحليل.وانطلاقًا من نتائج التحليل السابق، تقترح الدراسة خمسة معايير مترابطة للإفادة المنهجية:

الرقم	المعيار	السؤال المركزي	الوظيفة المنهجية
١	خصوصية النص القرآني	هل يتعامل المنهج مع خصائص النص ومؤشراته الداخلية؟	منع فرض النموذج على النص
٢	الفصل بين الأداة والخلفية المعرفية	ما الذي يمكن نقله من المنهج، وما الذي يحتاج إلى مراجعة؟	الانتقاء وإعادة التوظيف
٣	الحوار مع التراث وإعادة التأصيل	ما علاقة الأداة الحديثة بالمفاهيم البلاغية والتفسيرية السابقة؟	الاختبار وإعادة التأصيل
٤	القابلية للتحقق والمناقشة	هل يمكن تتبع الأدلة والإجراءات ومناقشتها؟	الحد من الانتقائية والذاتية
٥	الإضافة المعرفية	ماذا يضيف استخدام المنهج إلى فهم النص؟	تحديد القيمة المضافة وتبرير الإفادة

الجدول ١ . الإطار التحليلي لتقويم الإفادة من المناهج اللسانية الغربية في الدراسات القرآنية

أولًا: خصوصية النص القرآني

ينبغي أن يكون النص هو نقطة الانطلاق، لا النموذج. ويعني ذلك أن تحديد البنية أو العلاقة بين المقاطع يجب أن يستند إلى مؤشرات لغوية ودلالية وموضوعية وسياقية داخل النص نفسه. وتنسجم هذه النتيجة مع الدراسات التي أكدت أهمية دراسة الخصائص البنيوية والأدبية الخاصة بالقرآن2017) (Neuwirth,، كما تستجيب للنقد الموجه إلى بعض التطبيقات التي قد تجعل النموذج البنيوي سابقًا على تحليل النص (Sinai, 2017).

ثانيًا: الفصل بين الأداة والخلفية المعرفية

لا ينبغي اعتبار المنهج الغربي حزمة واحدة لا يمكن تفكيكها. فقد يكون الإجراء التحليلي صالحًا للإفادة حتى إذا كانت بعض مقدماته الفلسفية أو التاريخية تحتاج إلى مراجعة. ومن ثم ينبغي تحديد ما هو أداة إجرائية وما هو افتراض نظري، ثم اختبار كل منهما بصورة مستقلة. وهذا المبدأ هو الذي يسمح بالانتقال من الرفض الكلي إلى الإفادة النقدية.

ثالثًا: الحوار مع التراث

ينبغي ألا تستخدم الأداة الحديثة في فراغ معرفي. فوجود مفاهيم مثل النظم والمناسبة في التراث الإسلامي يجعل من الضروري مقارنة النتائج الحديثة بما قدمه التراث، لا لإثبات التطابق أو الاختلاف فحسب، بل لتحديد مقدار الإضافة التي يقدمها المنهج الحديث (الجرجاني، 1992؛ الزركشي، 1957؛ السيوطي، 2008). وبذلك يصبح التراث جزءًا من عملية التقويم وإعادة التأصيل.

رابعًا: القابلية للتحقق والمناقشة

ينبغي أن تكون خطوات التحليل قابلة للتتبع، بحيث يمكن للباحث أن يبين لماذا قسم النص بطريقة معينة، ولماذا اعتبر مقطعين متناظرين، وما الأدلة التي تدعم العلاقة المقترحة. ويتوافق هذا المعيار مع الاعتراضات التي أثارتها الدراسات النقدية حول الذاتية في بعض تطبيقات البلاغة السامية (Sinai, 2017).

خامسًا: الإضافة المعرفية

لا تكون الإفادة مبررة لمجرد أن المنهج حديث أو غربي أو قادر على إنتاج مخطط بنيوي جديد. وإنما ينبغي أن يؤدي استخدامه إلى فهم جديد أو تفسير أقوى أو كشف علاقة نصية يمكن إثباتها .وهذا المعيار يميز بين الجدة الشكلية والإضافة العلمية، ويجعل القيمة التفسيرية للنتيجة جزءًا من الحكم على صلاحية المنهج.

وبناء على ذلك، لا تعمل المعايير الخمسة بوصفها شروطًا منفصلة، وإنما بوصفها سلسلة تقويمية مترابطة: خصوصية النص ← تفكيك المنهج ← الحوار مع التراث ← اختبار الإجراء والنتيجة ← تقويم الإضافة المعرفية ← الإفادة المنهجية

ويمثل هذا الإطار محاولة للانتقال من الثنائية التقليدية بين قبول المناهج الغربية ورفضها إلى موقف ثالث يقوم على التقويم والانتقاء وإعادة التوظيف .فالمنهج لا ينتقل إلى الدراسات القرآنية بوصفه منظومة مكتملة، وإنما يخضع لعملية فحص تحدد ما يمكن الإفادة منه وما يحتاج إلى إعادة تأصيل أو استبعاد.

وتتمثل الإضافة النظرية للدراسة في أن الإفادة المنهجية نفسها تصبح موضوعًا للتقويم .فالبلاغة السامية هنا ليست غاية البحث، وإنما أنموذج لاختبار صلاحية هذا الإطار. فإذا أمكن تحديد أدوات نافعة فيها مع عزل الافتراضات التي تحتاج إلى مراجعة، والتحقق من إجراءاتها، وربطها بالتراث، وإثبات إضافتها المعرفية، أمكن تطبيق المنطق نفسه على مناهج لسانية غربية أخرى.

وعليه، فإن السؤال لا يعود: هل البلاغة السامية صالحة أم غير صالحة للدراسات القرآنية؟

بل يصبح: ما الشروط التي تجعل الإفادة من البلاغة السامية، ومن المناهج اللسانية الغربية عمومًا، إفادةً علميةً قابلةً للتبرير في الدراسات القرآنية؟

وهذا هو المعنى المقصود في عنوان الدراسة: نحو إطارٍ منهجيٍّ للإفادة من المناهج اللسانية الغربية في الدراسات القرآنية: البلاغة السامية أنموذجًا. فالدراسة لا تدعي بناء نظرية نهائية للإفادة من جميع المناهج، وإنما تقترح إطارًا منهجيًا مستخلصًا من تحليل نموذج محدد، قابلًا للاختبار والتطوير في دراسات لاحقة.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن الإفادة من المناهج اللسانية الغربية في الدراسات القرآنية لا ينبغي أن تقوم على القبول الكلي أو الرفض الكلي، وإنما على تقويم قابلية المنهج للإفادة في ضوء طبيعة النص القرآني وخصوصية مجاله المعرفي. وقد أظهرت البلاغة السامية، بوصفها أنموذجًا، أن المناهج الحديثة يمكن أن تقدم أدوات مفيدة للكشف عن

العلاقات البنيوية والتماسك النصي، غير أن نتائجها لا تكون مبررة علميًا إلا بعد فحص الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية التي تقوم عليها.

وبناءً على ذلك، تقترح الدراسة إطارًا منهجيًا للإفادة من المناهج اللسانية الغربية يقوم على خمسة معايير مترابطة :مراعاة خصوصية النص القرآني، والفصل بين الأداة التحليلية والخلفية المعرفية، والحوار مع التراث البلاغي والتفسيري، والقابلية للتحقق والمناقشة العلمية، وتحقيق الإضافة المعرفية .وتتمثل الإضافة الرئيسة للدراسة في نقل النقاش من سؤال صلاحية المنهج في ذاته إلى سؤال شروط الإفادة منه؛ فالمنهج لا يُنقل بوصفه منظومة مكتملة، وإنما يُفكك ويُقوّم ويُنتقى من أدواته ما يمكن إعادة توظيفه في الدراسات القرآنية.

ومع ذلك، تظل هذه النتائج في حدود الإطار المنهجي المستخلص من دراسة البلاغة السامية، ولا تدعي صلاحية المعايير المقترحة لجميع المناهج اللسانية الغربية دون اختبار إضافي. ومن ثم، تحتاج الدراسة المستقبلية إلى تطبيق هذا الإطار على مناهج ونماذج قرآنية أخرى للتحقق من قدرته على التمييز بين الأدوات القابلة للإفادة وتلك التي تتعارض مقدماتها أو إجراءاتها مع خصوصية النص القرآني ومتطلبات البحث العلمي.

المصادر والمراجع

Asnawi, A. R., & Idri. (2020). Examining Semitic rhetoric: A Qur'anic sciences perspective. *Jurnal Ushuluddin, 28*(2), 127–139. https://doi.org/10.24014/jush.v28i2.9898

Asnawi, A. R., Aziz, H., & Haris, A. M. (2022). Investigating cohesiveness of QS. Al-Mā'idah: A review on Michel Cuypers implementation of Semitic Rhetorical Analysis (SRA). *Jurnal Studi Ilmu-ilmu Al-Qur'an dan Hadis, 23*(1), 49–68. https://doi.org/10.14421/qh.2022.2301-03

Bowen, G. A. (2009). Document analysis as a qualitative research method. *Qualitative Research Journal, 9*(2), 27–40. https://doi.org/10.3316/QRJ0902027

Creswell, J. W., & Poth, C. N. (2024). *Qualitative inquiry and research design: Choosing among five approaches* (5th ed.). SAGE Publications.

El-Awa, S. M. (2006). *Textual relations in the Qur'an: Relevance, coherence and structure*. Routledge.

Farrin, R. (2014). *Structure and Qur'anic interpretation: A study of symmetry and coherence in Islam's holy text*. White Cloud Press.

Lincoln, Y. S., & Guba, E. G. (1985). *Naturalistic inquiry*. SAGE Publications.

Lincoln, Y. S., & Guba, E. G. (1986). But is it rigorous? Trustworthiness and authenticity in naturalistic evaluation. *New Directions for Program Evaluation, 1986*(30), 73–84. https://doi.org/10.1002/ev.1427

Mokrani, A. (2019). Semitic rhetoric and the Qur'ān: The scholarship of Michel Cuypers. In M. Sirry (Ed.), *New trends in Qur'anic studies: Text, context, and interpretation* (pp. 61–81). Lockwood Press. https://doi.org/10.5913/2019181.ch03

Neuwirth, A. (2007). Structural, linguistic and literary features. In J. D. McAuliffe (Ed.), *The Cambridge companion to the Qur'an* (pp. 97–114). Cambridge University Press. https://doi.org/10.1017/CCOL0521831601.006

Patton, M. Q. (2015). *Qualitative research & evaluation methods: Integrating theory and practice* (4th ed.). SAGE Publications.

Reynolds, G. S. (2010). *The Qur'an and its biblical subtext*. Routledge.

Setyawan, M. Y. (2022). Peran analisis retorika semit dalam studi al-qur'an dan penguatan toleransi beragama. *International Conference on Cultures & Languages*, *1*(1), 749-763. https://doi.org/10.22515/bkv5xj57

Setyawan, M. Y. (2025). الابتكار المعرفي عبر النصوص الدينية: التناص بين القرآن والكتاب المقدس نموذجًا. *Proceeding of International Conference on Cultures & Languages*, *3*(1), 350–366.

Sinai, N. (2017). "Going round in circles": Michel Cuypers, *The composition of the Qur'an: Rhetorical analysis*, and Raymond Farrin, *Structure and Qur'anic interpretation: A study of symmetry and coherence in Islam's holy text*. *Journal of Qur'anic Studies*, *19*(2), 106–122. https://doi.org/10.3366/jqs.2017.0285

Ulumudin, et al. (2022). Deconstructing Semitic rhetorical analysis: Confronting hermeneutical drift and restoring epistemic integrity in Qur'anic interpretation. *QURANICA: International Journal of Quranic Research*, *18*(1), 289–318. https://doi.org/10.22452/

الجرجاني، عبد القاهر. (1992). *دلائل الإعجاز*. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (1957). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (2008). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق مصطفى شيخ مصطفى. بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون.

كويبرس، ميشيل. (2016). *في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي*. ترجمة عمرو عبد العاطي صالح. بيروت: دار المشرق.

كويبرس، ميشيل. (2018). *في نظم القرآن*. نقله إلى العربية عدنان المقراني وطارق منزو. بيروت: دار المشرق.